بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

[سورة البقرة]

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما زال الشّعر منذ نشأة النحو إلى يومنا هذا يمثّل موردًا مهمًّا من موارد دراسة اللغة ووضع قواعدها واختبار هذه القواعد وتطبيقها، وسيظلّ الشعر دائمًا موضع دراسات النحويّين ، ووسيلتهم المفضّلة لكشف خصائص اللغة العربيّة وتطوير الدراسة فيها، ناظرين في ذلك إلى الخروج بالدراسة اللغويّة من الإطار النفعيّ الضيّق إلى الإطار الإبداعيّ الرحب.

وقد تطوّرت الدراسات النحويّة في العصر الحديث بشكل كبير، وتنوّعت وسائلها وأساليبها، وإن كان أغلبها يتّفق على ربط دراسة النحو بدراسة المعاني ؛ لشدّة ارتباط النحو بالمعنى ارتباطًا مباشرًا، حتّى ليصعب على الدارس أن يفصم بين هذين الفرعين: النحو والمعنى "[1] ، ومن أساليب الدراسات النحويّة : دراسة النصوص الأدبيّة باستعمال النظريّة النصّيّة الحديثة ، وهي ما اصطلح على تسميتها "نحو النصّ" .

و نحو النصّ هو "العلم الّذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاصّ لها، ممّا يسهم في إنجاح عملية التواصل الّتي يسعى إليها منتج النصّ ويشترك فيها متلقّيه ..."[2].

---

(1) من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، أ.د.أحمد كشك، ط1 ، القاهرة، 1403هـ - 1983م، ص9 .

(2) علم اللغة النّصّيّ بين النظرية والتطبيق- نماذج من السنة النبوية، د. نادية رمضان، ط القاهرة 2004م، ص5 .

ومِمَّا يميِّز نحو النصِّ: أنَّه يبدأ من حيث ينتهي نحو الجملة، فحتَّى منتصف الستِّينيات كان يُنظَر إلى الجملة وحدها على أنها الوحدة الأساسيَّة الَّتي يمكن تعيينها، ومن ثَمَّ هي متاحة للوصف اللغوي، أما نحو النص فهو يتجاوز الجملة، ويحدد النص بأنه "وحدة دلالية كبرى"، ومع ذلك فمفاهيمه ليست خارجة عن نحو الجملة أو النحو القديم، بل التراث النحوي بما يحويه من مفاهيم وقواعد هو الأساس الفعلي للاتجاهات النصية، وهو منبع كثير من أفكارها وتصوراتها ومفاهيمها.

أهمية هذه الدراسة:

وهذا تلخيص الأسباب الّتي تجعل موضوع دراستي ذا أهمّيّة وفائدة:

1- قصدت من خلال هذا الموضوع إلى دراسة وعرض جوانب النظريَّة النصِّيَّة الحديثة وبيان مدى فائدتها وملاءمتها للشعر العربي، عملاً بتوصيات أساتذتي بدار العلوم[1].

2- حيث إني بحثت عن تطوير للأفكار النحوية الدلالية التي عالجتها في بحثي (شعر حسن كامل الصيرفي – دراسة نحوية دلالية) فوجدت هذا التطوير في الدراسة النحوية النصية، والتي هي أوسع وأشمل.

3- ومن خلال المزاوجة بين المصادر والمراجع القديمة والحديثة حاولت في هذه الدراسة إبرازَ دور نحو الجملة بمفاهيمه ومعطياته في التحليل النصِّيّ، سواء من ناحية الاندماج مع مفاهيم النصِّيَّة أو من ناحية توسيعها وتطويرها.

---

(1) انظر توصياتهم ص988 من كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية الذي صدر بعنوان "العربية بين نحو الجملة ونحو النص" عام 1426هـ، 2005م.

4- كما أن شعر محمد مهدي الجواهريّ لم يُتناول من قبل في دراسة من هذا النوع، وهو جديرٌ بها لإبراز مواطن جماله ووضعه في مكانه اللائق به.

5- فقد تميَّز هذا الشاعر بالتزامه بعمود الشعر ، وتمسُّكه بالموروث الشِّعري في لغته وأسلوبه ، وحرصه على إحياء مفردات اللغة وتقديم نصٍّ شعريّ يضارع الشِّعر العربيّ في أزهى عصوره .

6- والجواهري شاعر ذو مكانة عالية في الشعر الحديث، حيث كان رئيساً لأول اتحاد للأدباء العراقيين. ونقيباً لأول نقابة للصحفيين ، وإنتاجه الشعريّ الثرّ ينطق بقدره، فقد نظم الشعر في سن مبكرة، وبدأ ينشر شعره منذ عام 1921م إلى وفاته عام 1997م وهو ينيف على التسعين.

7- وقد حظي الجواهري بالشهرة والثناء الحسن من الأدباء والنقّاد، حتى لقد وصفه د. جليل المندلاوي بأنه "آخر العمالقة الكلاسيكيين في الخطاب الشعري "[1]، وقال فيه جميل صدقي الزهاوي : "... ولا بدع إذا برز الأستاذ على أقرانه ؛ فإنّي كنت أتوسم فيه هذا النبوغ ... وألفاظ جزلة هي في الغالب على قدر المعاني، وقوافٍ متمكنة كأنها أوتار من ذهب ... "[2].

الدراسات السابقة في شعر الجواهري:

هذا، ولم أطَّلع على دراسة نحوية نصية في شعر الجواهري، ولكن شعره دُرس من قبل

---

(1) قال ذلك في مناقشته لرسالة الماجستير المسماة (التمرد والخضوع في شعر الجواهري ــ دراسة في الثنائيات) التي أعدها الباحث/ نواف قاسم سنجاري بكلية الآداب جامعة صلاح الدين – كردستان العراق سنة 2001م .

(2) ديوان الجواهري–الأعمال الكاملة1-7 ، ط2 بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، 2001م، ص47-48.

بعدَّة مناهج وأساليب، ومن العناوين الَّتي أُتيحَ لي الاطِّلاع عليها:

1- التمرد والخضوع في شعر الجواهري ـ دراسة في الثنائيات، رسالة ماجستير، نواف قاسم سنجاري، كلية الآداب بجامعة صلاح الدين، كردستان العراق، 2001م.

2- خصائص الأسلوب في شعر الجواهري، دراسة تطبيقية (1960- 1997م)، رسالة ماجستير، سهام قنبر علي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق، 2002م.

3- الصورة الفنية في شعر محمد مهدي الجواهري، رسالة دكتوراه، طارق عمر عريفي، كلية الآداب، جامعة دمشق، 2004م.

4- الاتجاهات الموضوعية والفنية في شعر الجواهري، رسالة دكتوراه، جميل عبد الغني محمد علي، كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر.

5- الجواهري آخر الفحول، كتاب للدكتور محمد عبد العزيز الموافي، القاهرة، دار غريب، 2007م.

6- خصائص الأسلوب في شعر محمد مهدي الجواهري، رسالة دكتوراه، فوزي علي علي صويلح، كلية اللغات، جامعة صنعاء، 2008م.

خطّة البحث، والمنهج المتّبع:

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يقسَّم على النحو التالي:

- تمهيد يضم أربع مقالات:
  - تقدِّم الأولى تعريفًا مختصرًا بالشاعر محمد مهدي الجواهري.

- وتضمُّ الثانية بعض المفاهيم عن لغة الشعر وخصائصها والملامح العامَّة المميِّزة لها.
- أمَّا الثالثة فتؤصِّل لمفاهيم الدراسات النحوية النصِّيَّة، وتعرِّف بنحو النص، وعلاقته بنحو الجملة، والمعايير التي يقوم عليها.
- وتختم الرابعة بصورة موجزة عن شعر الجواهري، من ناحية خواصِّه الأسلوبية، وبعض الظواهر الشائعة فيه.

- الفصل الأول: عن معيار السبك، وفيه توطئة وثلاثة مباحث:
  - تحتوي التوطئة على تعريف بمعيار السبك، وبيان لأهميته.
  - والمبحث الأول مخصص لوسائل السبك النحوية، كالإحالة بالضمائر والإشاريات والموصولات، والحذف، والاستبدال، والربط بالأدوات ـ كأدوات العطف وأدوات الشرط ـ والتضام، والتحديد.
  - والمبحث الثاني مخصص لوسائل السبك المعجمية، وفيه مسألتان هما: التكرار، والمصاحبة المعجمية.
  - أما المبحث الثالث فمخصص لوسائل السبك الصوتية، وعولجت فيه مسألتان هما: التدوير، والتقفية.
  - وخُتم الفصل بتطبيق على قصيدة (أسعف فمي).

- الفصل الثاني: عن معيار الحبك، وفيه توطئة ومبحثان:
  - احتوت التوطئة على تعريف بمعيار الحبك، وبيان لأهميته.
  - وكان المبحث الأول عن وسائل الحبك الطرفية، واحتوى على مسألتين هما: العنوان، والابتداء والانتهاء.

- أمـا المـبحث الثانـي فاحـتوى علـى دراسة لوسائل الحبك الداخلية، وعـولجت فـيه سـت وسـائل هـي: التفـسير، والـسببية، والحـوار، والتذييل، والتقابل، وتفصيل المجمل.
- واختُتم الفصل ـ كسابقه ـ بتطبيق، على قصيدة (أبو العلاء المعري).

أمَّـا المنهج المتَّبع في الدراسة فهو المنهج الوصفي الإجرائي، وقد نظَّمتْه مجموعةٌ من المفاهيم العامَّة، والَّتي منها:

- أنَّـه لا تـوجد شـكليَّة مطلقة في الأعمال الأدبية، وخصوصًا في فنِّ الشِّعر، فدائمًا توجد علاقة وثيقة بين الشكل والمضمون، والعلاقات الكائنة في النصِّ بين الأصوات والألفاظ والمعاني والصور الشعرية والقوافي، إضافة إلى التنغيم والإلقاء، هي التي يكون بها الشعر شـعرًا، وكـل هذه العناصر مجتمعة تبني الشعر، وتساهم بدرجات مختلفة في كونه على ما هو عليه، ودورُ البحث إبرازُها، أو على الأقل مراعاتها وعدم مصادمتها.

- أنَّ الدراسـة مـن خـلال فكرة النَّصِّيَّة أو علم النص ـ وحده ـ ليست كاملة، ولا تزال بحاجـة إلى كـثير مـن التطويـر، ولـذلك يجـب التدقيق في دراسة النصوص العربية عن طـريقها، وفي تـناول بعـض مفاهـيمها الـتي لا تـصلح بـديلاً لمفاهيمَ مناظِرة في النحو العربي، فما زالت مفاهيم النحو هي الأساس في الدراسة النصية.

- مـراعاة المـستوى اللغـوي الخـاص الـذي يسير عليه الشعر، وكونه نظامًا داخل النظام اللغوي، واختلاف لغته في بعض مناحيها عن اللغة العامة.

- الاهـتمام بمعيارين من معايير النصية على وجه الخصوص وهما: السبك، والحبك؛ لما لهمـا مـن صـلة وثـيقة بالنص ذاته، ولم يفتني الاهتمام ـ ضمنًا ـ بالمعايير التي لم يرد لها

بحث خاص في دراستي، ومنها على سبيل المثال: التناص، ورعاية الموقف، والإعلامية.

أما أسلوب العرض فهو الاختصار، مع دقَّة المعلومات واستيفاء عناصر كل موضوع أو جزئية داخل البحث، وتقديم نماذج تطبيقية مختارة من شعر الجواهري لكل جزئية.

وفي الختام آمل أن تكون هذه الدراسة مساهمة في إلقاء الضوء على شعر الشاعر محمد مهدي الجواهري، آخر العمالقة الكلاسيكيين، وفي تطوير الدراسات النصية العربية، التي يُنتظر منها الكثير في المستقبل بإذن الله تعالى.

وأرجو أن أكون قد وُفّقت في تقديم بحث قيِّم، يُبين عن شعر الجواهري ولغته وجمالياته، ويُعرب عن حركة الشعر بين اللفظ والمعنى والصوت والإيقاع، ويقدِّم من مفاهيم علم النصِّ شيئًا واضحًا وواقعيًا ومقبولاً.

وما توفيقي إلا بالله، والحمد لله أولاً وآخرًا ...

د. صالح الشاعر

تمهيد

يحتوي على ما يلي:

1- محمد مهدي الجواهري.

2- لغة الشعر وخصائصها.

3- الدراسات النحوية النصية.

4- الملامح الشكلية العامة لشعر الجواهري.

محمَّد مهدي الجواهري [1]

بيئته ونشأته:

* ولد عام (1899م)[2] في مدينة النجف العراقية، ذلك المركز الديني والأدبي البارز.

* تحدّر من أسرة عريقة في علوم الفقه والأدب والشعر عُرفت بالجواهري؛ نسبة لكتاب جليل اسمه (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) ألّفه الشيخ محمد حسن أحد أعلام الفقه في عصره والمرجع الديني البارز للطائفة الشيعية في زمانه، وطار صيت الكتاب حتى عرف به مؤلفه صاحب الجواهر، ومنه جاء

---

(1) استقيت هذه الترجمة الموجزة من مقدمة ديوانه (الأعمال الشعرية الكاملة) الصادر عن دار الحرية ببغداد عام 2001م (من ص6 إلى ص44)، والطبعة الأخرى لديوانه (دار بيسان عام2000م)، كما أن له ترجمة في موقعه على الإنترنت (www.jawahiri.com)

(2) سنة ميلاد الشاعر مختلف فيها اختلافًا مقداره ثمانية أعوام (1899م- 1907م)، وذلك لعدم تدوين التاريخ وعدم وجود شهادات للميلاد وقت ولادته، ويرجح الدكتور محمد عبد العزيز الموافي أنه ولد عام 1903م، انظر: الجواهري آخر الفحول، د. محمد عبد العزيز الموافي، القاهرة، دار غريب، 2007م، ص74، 75، أما شعره فيخبرنا تارةً أنه ولد عام 1902م؛ لأنه يقول في قصيدة (يا غريب الدار) [الأعمال الشعرية الكاملة/ 835]:

مَن لستين انطوت مثـ ـلَ دمِ العبدِ جُبارا

وقد نظمها في (براغ) عام 1962م، وتارةً يلمّح إلى عام 1904م بقوله عام 1974م [الأعمال الشعرية الكاملة/ 990]:

أتبغون الفتوّة عند هِمٍّ على السبعين يتّكل اتّكالا

أو إلى عام 1905م [الأعمال الشعرية الكاملة/ 271]، وتارة أخرى يخبرنا أنه ولد عام 1900م، حيث يقول عام 1970م:

لجاجك في الحبِّ لا يجمُلُ وأنت ابنُ سبعين لو تعقلُ

وهذا الاختلاف الشاسع يدل على أنَّ الجواهري لم يكن يعلم تاريخ ميلاده.

اسـم العائلـة "آل الجواهـري"، وقد كان لهذه الأسرة ـ شأن باقي الأسر الكبيرة في النجف ـ مجلس عـامر بالأدب والأدباء يرتاده كبار الشـخصيات الأدبية والعلمية.

* كـان والـده صـارمًا قاسـيًا يـسعى لإعـداده كي يتبوّأ مكانة دينية مميزة ـ وهو التقليد الجـاري في الأسـر النجفـية المعـروفة ـ ولـذلك فرض على الجواهري الصبي منهجًا صـارماً بعـد أن خـتم القـرآن ، بأن يحفظ كل يوم خطبة من "نهج البلاغة" وقطعة من "أمالـي القالـي" وقـصيدة مـن "ديـوان المتـنبي" ومـادة مـن مـواد كتاب "سليم صادر" في الجغـرافيا. ويـبدأ الصبي يحفظ طوال نهاره منتظراً ساعة الامتحان بفارغ الصبر، فإذا نجح فيه يسمح له بالخروج ليلعب مع أترابه.

* قاده ولعه المبكر بالشعر إلى الغوص في بحوره ودواوينه، مانحًا إيَّاه معظم الجهد والوقت الَّذي كان يُفترض أن يوجه نحو علوم الفقه والشريعة.

* بدأ النظم في سن مبكرة، ولم يبق شيء يذكر محفوظاً وموثقاً من تلك البواكير.

إنتاجه الشعري:

* نشرت أول قصيدة له عام (1921م).

* ونـشر أول مجمـوعة لـه باسـم "حلـبة الأدب" ، وقـد عارض فيها عددًا من الشعراء من معاصريه والقدامى.

* صـدر لـه ديـوان "بـين الشعور والعاطفة" عام (1928م). وكانت مجموعته الشعرية الأولى قـد أعـدت مـنذ عام (1924م) لتُنشر تحت عنوان "خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح".

* أصدر عام (1935م) ديوانه الثاني باسم "ديوان الجواهري".

* أقام في باريس ردحاً من الزمن إثر عودته من المؤتمر التأسيسي لـ "حركة السلام العالمي" في "بروكلاو" في بولونيا عام (1948م)وهناك أبدع "أنيتا"، إحدى ملاحمه العاطفية والشعرية المثيرة والرائعة.

* صدر عام (1949م) الجزء الأول من ديوانه الجديد في جزءين.

* عام (1950م) صدر الجزء الثاني من ذلك الديوان.

* أصدر عام (1953م) الجزء الثالث لديوانه في طبعته الثالثة.

* أصدر في عام (1956م) الجزء الأول من ديوانه في طبعته الرابعة.

* صدر في عام (1961م) جزءان، من مشروع أربعة أجزاء، لديوان "الجواهري".

* صدر عام (1965م) ديوان "بريد الغربة" في براغ.

* صدر عام (1968م) الجزء الأول، في مشروع جديد، من مجموعة الشاعر الكاملة عن دار الطليعة.

* صدر عام (1969م) الجزء الثاني من ديوانه عن "دار الطليعة".

* عام (1971م) صدرت رائعتاه "أيها الأرق" و "خلجات" في كراسين منفصلين.

شعره محل الدراسة:

شعر الجواهري المستهدف بالدراسة هو الشعر الذي جمعته اللجنة التي كلفتها وزارة الإعلام العراقية بنشر شعر الجواهري كاملاً، فتمَّ هذا العمل في سبعة أجزاء بلغ مجموع

صفحاتها 1119 صفحة ، وفاق مجموع أبياتها سبعة عشر ألف بيت.

وقد ذكرت اللجنة في كلمتها المنهج الذي سار عليه عملها، حيث رتبت قصائد الجواهري ترتيبًا زمنيًّا، وقامت بمراجعة دواوينه المنشورة، والجرائد والمجلاَّت الَّتي نشرت له، واتَّصلت برواة شعره وجامعيه، وعُنيت بذكر المناسبة التي قيلت فيها القصائد، وتحديد أماكن النشر، فخرج عملها إلى النور حاملاً اسم "الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد مهدي الجواهري"[1].

أعمال ونشاطات:

* غادر النجف إلى بغداد عام (1927م) ليعمل في التعليم، ولم يدم ذلك طويلاً، حيث عُيّن في العام نفسه ـ وبعد استقالته من التعليم ـ في دائرة التشريفات ببلاط ملك العراق، فيصل الأول.

* استقال من البلاط سنة (1930م) ليصدر جريدته (الفرات)، وقد صدر منها عشرون عددًا ثم ألغت الحكومة امتيازها.

* بعد إغلاق جريدة "الفرات" عاد إلى التعليم مرّة أخرى عام (1931م)، ثم نقل إلى ديوان الوزارة رئيسًا لديوان التحرير.

* أصدر عام (1936م) جريدة "الانقلاب"، مستبشراً خيراً بانقلاب "بكر صدقي" العام نفسه.

---

(1) ديوان الجواهري–الأعمال الكاملة1–7 ، ط2 بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، 2001م، ص5، وقد أحلت إليه في بقية البحث بـ(الأعمال الشعرية الكاملة).

* بـدأ يعـارض سياسـة الحكـم إثـر إحـساسه بانحـراف الانقـلاب عـن أهداف الإصلاح الموعودة، وحكم عليه بالسجن وبإيقاف الجريدة عن الصدور.

* إثـر خـروجه مـن الـسجن وبعـد سقوط حكومة الانقلاب أصدر جريدته الشهيرة "الرأي العـام" والـتي كـان يتعاقب إغلاقها وصدورها عبر سنوات طويلة. وكانت الصحف التي أصدرها مثل: "الثبات" و"الجهاد" و"الأوقات البغدادية" و"الدستور" و"صدى الدستور" و"العصور" تأخذ مكان "الرأي العام" المعطّلة عن الصدور وليتوالى إغلاق هذه الصحف تباعاً.

* غادر العراق بعد فشل حركة مايس عام (1941م).

* عاد إلى العراق في العام نفسه ليستأنف إصدار جريدة "الرأي العام".

* انتُخب رئيساً لأول اتحاد للأدباء العراقيين. ونقيباً لأول نقابة للصحفيين.

* استغل الدعوة لتكريم "الأخطل الصغير" عام (1961م) ليغادر العراق وليحلّ ضيفاً على اتحاد الأدباء التشيكوسلوفاكي.

* ترأس حركة الدفاع عن الشعب العراقي في براغ عام (1963م).

* غـادر "العـراق عام (1979م) لتغرّب جديد دام بقية العمر، استنكاراً ورفضاً لمطالع محنة العراق الجديدة ومعاناة شعبه والطبقة المثقفة منه بوجه خاص.

اجتماعيات وتكريمات:

* مثّل العراق عام (1944م) في مهرجان "أبي العلاء المعرّي" بسوريا.

* في عام (1950م) لبّى دعوة الدكتور "طه حسين" - وزير المعارف المصري آنذاك - لحضور "مؤتمر المثقفين" في الاسكندرية، وأعلن طه حسين أن الجواهري ضيف الحكومة المصرية، فأقام في القاهرة قرابة عام ليعود بعدها الى العراق.

* كان رئيسًا لوفد اتحاد الأدباء العراقيين في المؤتمر الرابع للأدباء العرب في الكويت عام (1958م).

* منح عام (1975م) جائزة الكتاب والأدباء الآسيويين - الأفريقيين "اللوتس".

* زار الجماهيرية الليبية عام (1989م) بدعوة رسمية، واستقبله العقيد معمر القذافي، ومُنح هناك وساماً ليبياً رفيعاً.

* منح في نهاية عام (1991م) جائزة "سلطان العويس" الإماراتية للإنجاز العلمي والثقافي.

* لبّى في خريف (1991م) دعوة "دار الهلال" لحضور احتفالات الذكرى المئوية لصدور مجلة الهلال في القاهرة، وحظي باهتمام وحفاوة كبيرين، واستقبله خلال الزيارة الرئيس المصري محمد حسني مبارك.

* كما لبّى في نهاية العام نفسه دعوة الحكومة الأردنية للمشاركة في حفل توزيع جوائز الدولة التقديرية لوجوه العلم والثقافة في الأردن، وقد مُنح خلال تلك الزيارة وسام الاستحقاق الأردني من الدرجة الأولى بقرار من الملك الراحل الحسين بن طلال.

* شارك في مهرجان "الجنادرية" الثقافي بالمملكة العربية السعودية عام (1995م) بدعوة من ولي العهد والقائد العام للحرس الوطني الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود.

* في تموز (يوليه) عام (1995م) أقيم للجواهري في مكتبة الأسد بدمشق احتفال تكريم ضخم على الصعيدين الثقافي والرسمي، وجرى تقليده وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة تقديراً لتراث الشاعر الأدبي ومواقفه الوطنية.

وفاته:

* في فجر يوم الأحد 27/ 7/ 1997م رحل الشاعر العظيم، واحتضنته تربة الشام بعيداً عن دجلة الخير.